رجل البيت...

للأديب عبد الحميد جوده السحار

دق جرس الباب فأسرعت نعمات هانم لتفتح لزوجها كما هى عادتها فى أول كل شهر فما كادت ترى وجهه حتى بادرته

— استلمت المرتب طبعاً . . . سلمه بدورك

فقال لها وهو يدخل :

— انتظرى حتى أدخل وأستريح . . . انتظرى قليلا

— لا ... هاتها ... أمدد يدك فى جيبك ... أوه...أسرع

وضع حسن أفندى يده في جيب سترته الداخلى وهو يتململ وأخرج رزمة من الأوراق المالية ووضعها فى يد زوجته التى كانت ممتدة إليه تنتظر أوراق البنكنوت . استلمت نعمات هانم مرتب زوجها فنادت ابنها حسونة ثم ابنتها فيفى وهى سائرة إلى جوار زوجها وكان متجها نحو غرفته ليغير ملابسه . لبى حسونة وفيفى النداء وسارا وراء والديهما ودخل الجميع غرفة الوالد فقالت نعمات هانم :

— خذ يا حسونة نقودك . . : وأنت يافيفى . . . خذى هذا

وأخذت تعد — واحد . . . اثنان ... ثلاثة ... أربعة . هذا للبقال ... واحد ونصف هذا للخباز ... واحد ... اثنان . هذا للجزار . . . أوه . . . آسفة ياحسن بك . . . نسيت أن أعطيك مصروفك . خذ ولا تحزن . . . واحد . . . اثنان . . . ثلاثة ونصف . . . هـذا أجر المنزل وبقيت في يدها بضع أوراق مالية فطوتها وقالت : هذا للخياطة طبعا

فرفع زوجها رأسه وقال :

— كل هذا للخياطة ... لا لا ... هذا إسراف ...لا أو..

— هذا للخياطة والتنزه والملحقات . . . سنشترى أنا وفيفى أقمشة للصيف ونرسلها إلى الخياطة . . . مسكينة فيفى إنها لاتملك إلا تسعة فساتين فقط

فقال حسونة : ولكن ياماما . . . أنا محتاج إلى بذلة جديدة

— أوه حسونة . . . الشهر الآتى ياحبيبى

ونظر حسن أفندى إلى حذائه البالي وسرته التى تغير لونها وهم بالكلام ولكنه فضل السكوت لأنه كان يعلم جيداً أن لا فائدة من الكلام .

* * *

انتقلت العائلة إلى غرفة المائدة لتناول الغداء ، فأخذ حسن أفندى ككل أول شهر ينتقد العمل فى الحكومة ويصف الحكومة بمقبرة الكفايات ويعلم الله أن حسن افندى هذا لا يصلح لأى عمل حكومى أو غير حكومى فهو متردد ضعيف العزيمة ولا يحسن غير الخط . التحق بالحكومة من عشرين سنة أيام أن كان كل من يستطيع القراءة والكتابة يلتحق بها . يعتقد أنها نابغة وأنه لو كانت الأجازات موجودة فى أيامه لحصل على أعلى الدرجات . ثم قال : التحق اليوم بوزارتنا موظف جديد متخرج من كلية التجارة وجاءت قرعته فى مكتبي فناولته حساباً بسيطاً ليتمه ، وقدم إلى الحساب فلم أفهم منه حرفاً . مسكين هذا الشاب إنه اتبع طرقاً عقيمة طبعاً وكان خطه رديئاً ، فقلت له : « اسمع يا بنى . سأنصحك لوجه الله أترك كل ما تعلمته فى المدرسة واتبع الطريقة التى سأعلمها لك » فنهت الشاب ونظر إلىّ مذهولا فقلت : « الطريقة التى سأعلمها لك اكتسبتها بالران الطويل وسترى أنها بسيطة » ثم شرحتها له وأراد أن يعترض فقلت له : « اسمع . إعمل بطريقتى ولا تعمل بغيرها إننا نتبعها من عشرين سنة . أتريد أن تغير من نظامنا إكراماً لخاطرك . لا يا بنى لا اسمح لك بغير طريقتى »

فقال حسونة : « ولكن يا أبي لماذا لم تتركه يتبع طريقته التي تعلمها »

فرد أبوه محتداً : « أية طريقة ؟ لا يوجد للحساب سوى طريقة واحدة ، أتظن أنكم تتعلمون الآن ؟ انكم تضيعون وقتكم سدى . رحم الله أيام أن كنا نحصل كل العلوم في أربع سنوات . اترك فلسفتك ياسيد حسونة »

أراد حسونة أن يرد ويقنع أباه ولكن نعمات هانم تدخلت وقالت :

— لنترك هذا الحديث . عليك ياحسن بك أن تكون هنا في الساعة الثامنة والنصف لنذهب إلى السينما

— لا أستطيع الليلة . . عندي شغل كثير .

— بل يجب أن تحضر .

— فثار حسن افندي وقال :

— قلت لا أستطيع . يجب أن تكون الكلمة كلمتي ، نعم يجب أن أطاع هنا . . أنا رجل البيت . . أنا رجل البيت .

وقام ثائراً واتجه نحو غرفته ثم لبس ملابسه . وفي أثناء خروجه قالت زوجته :

— تذكر الساعة الثامنة والنصف .

* * *

في الساعة الثامنة أخذت نعمات هانم تعد نفسها للخروج دخلت غرفة الزينة وأمرت حسونة أن يجهز نفسه واختارت لبني الفستان الذي ينبغي لها ارتداؤه فقال حسونة :

— قد نلبس ونتعب أنفسنا ولكن أبي قد لايحضر .

فردت نعمات هانم : « اطمئن »

فما كادت نعمات هانم تتم قولها حتى سمع رنين الجرس فنظر حسونة إلى أمه فرآها تبتسم فابتسم أيضاً .

— اسرعي يالبني وافتحي . . إنه جاء

فتحت لبني الباب فدخل حسن افندي مسرعاً وما كاد يرى وجنته حتى قال :

— حظكم حسن . . لقد تمكنا من إنجاز كل شيء قبل الساعة فحضرت لأمتعكم بالسينما . . هيا اسرعوا .

فنظر حسونة إلى لبني ثم إلى أمه وضحكوا .

وهكذا أثبت حسن افندي أنه حقاً رجل البيت .

* * *

ظهرت نتيجة البكالوريا ونال حسونة من الناجحين فأراد أن يلتحق بكلية من كليات الجامعة فاجتمعت العائلة ودار النقاش والمفاضلة واشتد الجدل بين الوالد المحترم والوالدة المهذبة ، وترك حسونة المسكين ولم يأخذ رأيه حتى كرأي استشاري. الأب يرغب في إلحاق ابنه بكلية الهندسة والأم ترغب في أن تربي ابنها طبيباً .

— هندسة .

— طب .

— قلت هندسة . . هندسة

— قلت طب . . طب

— قلت هندسة وكفى . . أنا ولي أمره . . .

والتحق حسونة بكلية الطب .

* * *

وخطب لبني خطيبان أحدهما محام والثاني ضابط بوليس فاجتمعت العائلة المحترمة ودار النقاش . . فالأب يفضل المحامي ويدافع عنه ويقول بكل أنه يعمل حرا وأنه شاب سيكون له مستقبل باهر ، والأم تفضل الضابط لأن منظره بالشريط الأحمر كما تقول « يسر » وأن ناهيته ثابتة ، أما المحامي فمن يدري قد يتخاصم الناس وقد لايفعلون . اشتد الجدل .

— المحامي

— الضابط

— قلت المحامي

— قلت الضابط

— لا . . . لا أقبل هذا أبداً . . . الكلمة هنا كلمتي والرأي رأيي . . . أنا رجل البيت . . . أنا رجل البيت لن تتزوج إلا المحامي . . .

وتزوجت لبني من الضابط

وهكذا عاش حسن أفندي . . . رجل البيت

عبد الحميد عبده السحار